

الوحدة الإفريقية و الوحدة العربية حلم قابل للتحقيق ام اضغاث احلام

الفصل 1: المقدمة: أفريقيا والمواجهة الثورية

تُعتبر قارة إفريقيا اليوم في قلب مفترق الطرق التاريخي، ما بين استمرار الهيمنة الاستعمارية الجديدة وبين إمكانية تحقيق الوحدة الثورية التي ستتيح لها تحقيق استقلال حقيقي بعيداً عن التبعية للمراكز الإمبريالية. ولذا فإن مسألة **الوحدة الإفريقية**، بتأصيلاتها الثورية، تكتسب أهمية متزايدة في ظل الهجمات المستمرة على سيادة القارة من خلال الشركات متعددة الجنسيات والأنظمة الإمبريالية، التي تسعى لتأبيد الأوضاع القائمة.

كما قال **أميلكار كابرال**: "لا يمكن تحقيق التحرر الحقيقي إلا إذا كان الشعب هو الفاعل الرئيسي في العملية الثورية، وإذا كانت هذه الثورة هي ثورة من أجل تغيير بنية المجتمع وليس مجرد تغيير في الطبقات الحاكمة". هذه الكلمات تمثل جوهر ما نطمح إليه: **وحدة ثورية** عميقة الجذور، تسعى لإلغاء كل الأنظمة التي تقوم على الهيمنة الإمبريالية والنيوليبرالية، وتستبدلها بنظام اقتصادي واجتماعي يضمن للإنسان الإفريقي حريته وموارده الطبيعية. الوحدة ليست مجرد فكرة سياسية بل هي مطلب شعبي يتجاوز الأنظمة الفاسدة التي تسعى لإبقاء الشعوب في حالة من التبعية.

غرامشي قال أيضاً: "الهيمنة لا تتحقق إلا عندما يصبح المجتمع المدني متواطئاً، وإذا نجحنا في خلق الوعي الشعبي الثوري، فلن يبقى للإمبريالية أي قدرة على التحكم". وهذا يوضح الحاجة إلى **وعي شعبي ثوري** لا يقتصر على النخبة الحاكمة بل يمتد إلى جميع فئات المجتمع، من الفلاحين إلى العمال، والشباب إلى المثقفين الثوريين. كما أكد **فرانتز فانون** أن "الاستعمار ليس فقط استغلالاً اقتصادياً، بل هو محاولة متعمدة لتحويل الشعوب إلى أشياء، إلى أشياء لا قيمة لها". هذه الكلمات تذكرنا بأن القهر الاستعماري الذي عاشته إفريقيا يجب أن يواجه بثورة شعبية تكون جذورها ثقافية واجتماعية.

الفصل 2: الاستعمار الجديد والتحديات الماثلة أمام الوحدة الإفريقية

في ظل الهيمنة الجديدة للقوى الإمبريالية، يستمر **الاستعمار الجديد** في تشكيل تهديد حقيقي لاستقلال القارة. لقد شكلت **الاحتلالات الاقتصادية والعسكرية** المستمرة على أراضي القارة بقايا للهيمنة الأوروبية والأمريكية، ما يجعل الوحدة الإفريقية عملية صعبة ولكنها ضرورية. فالدول الإفريقية، رغم حصولها على الاستقلال السياسي، ما تزال خاضعة للنفوذ الخارجي عبر **القواعد العسكرية الأجنبية** المنتشرة على أراضيها، وشركات النفط والتعدين الكبرى التي تهيمن على مواردها.

إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" قال: "تظل القوة في الغرب هي المسيطرة على معرفة الشرق، والشعوب التي كانت تُعتبر مستعمرات تُنقل الآن إلى مكان آخر، بعيداً عن أي قدرة على التأثير في مستقبلها". يشير هذا إلى كيفية استمرار الهيمنة الغربية، حيث لا تزال إفريقيا خاضعة لمؤسسات الإمبريالية الاقتصادية والعسكرية.

لقد شهدنا في السنوات الأخيرة تغيرات حاسمة في هذا السياق، حيث بدأت عدة دول إفريقية في طرد الشركات الفرنسية من أراضيها، وأعلنت عن انسحابها من اتفاقيات تجارية غير متوازنة مع القوى الغربية. كما أعلن الرئيس إيمانويل ماكرون في تصريحاته حول إفريقيا بأن فرنسا ستسحب قواتها العسكرية من عدة دول، في خطوة غير كافية لوضع حد لتدخلات بلاده في الشؤون الإفريقية.

في المقابل، يجب أن نذكر التحولات التي شهدتها بعض دول أمريكا اللاتينية، مثل فنزويلا وبوليفيا وكوبا، حيث تمكنت هذه الدول من التخلص من الهيمنة الأمريكية عبر تحولات ثورية نجحت فيها في بناء منظومات اقتصادية مستقلة. هذا يمكن أن يكون مصدر إلهام لنا في إفريقيا، حيث بإمكان الوحدة الإفريقية الثورية أن تشكل جواباً لمعضلة الهيمنة الإمبريالية.

الفصل 3: من التكتيك إلى الاستراتيجية: نحو بناء القاعدة المادية للوحدة الثورية

في هذا الفصل، ننتقل من التفكير التكتيكي اللحظي إلى الرؤية الاستراتيجية المتكاملة التي تهدف إلى بناء الأسس المادية للوحدة الإفريقية الثورية. هذه الرؤية لا تقتصر على مجرد التصريحات السياسية أو المؤتمرات البيئية، بل تركز على تغيير جذري في البنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للقارة الإفريقية. لا يمكن للوحدة الإفريقية أن تكون مجرد شعار؛ فهي بحاجة إلى أسس مادية واقتصادية تؤسس لنهضة شاملة، بما في ذلك تأمين الموارد الطبيعية، تفكيك الدولة القُطرية، وبناء جيش شعبي إفريقي قادر على الدفاع عن القارة.

أ. تأمين الموارد الطبيعية

الموارد الطبيعية هي أساس أي استقلال اقتصادي حقيقي. منذ بداية الاستعمار، كانت هذه الموارد هي المستودع الذي خزن فيه الاستعمار قوته، ومن خلاله استمر الهيمنة على القارة بعد الاستقلال. وفي إطار استراتيجية الوحدة الثورية، يصبح تأمين هذه الموارد خطوة أساسية على طريق تحرر حقيقي.

كما قال توم كرانشاو: "الشركات الغربية لا تدخل إلى إفريقيا للتنمية، بل من أجل استخراج الثروات واستغلال الشعوب". في هذا السياق، إلغاء عقود الامتياز التي تمنح هذه الشركات السيطرة المطلقة على الموارد يجب أن يكون الخطوة الأولى نحو تحرر حقيقي، حيث إن تلك الشركات تهيمن على النفط، المعادن، والغابات، وتستفيد من ذلك بشكل هائل، بينما لا ينال الشعب الإفريقي منها إلا بالكاد.

إلغاء هذه العقود وفرض قوانين شفافة على الشركات الأجنبية سيؤدي إلى تحقيق سيادة اقتصادية حقيقية، ويضمن أن الإيرادات المستخلصة من هذه الموارد تُستخدم في تمويل التنمية الداخلية، بدلاً من استمرار نهبها من قبل القوى الإمبريالية.

ب. تفكيك الدولة القُطرية وبناء دولة اتحادية ثورية

إن مفهوم الدولة القُطرية الذي فرضه الاستعمار لا يعدو كونه أداة لتقسيم الشعوب الإفريقية وتعميق النزاعات بينها. مع انتهاء الاستعمار الظاهر، بقيت الدولة القُطرية حائلاً أمام وحدة القارة الحقيقية. لذا، فإن تفكيك الدولة القُطرية واستبدالها بدولة اتحادية ثورية تمثل شعوب القارة بأكملها يعد جزءاً أساسياً من مشروع الوحدة الإفريقية الثورية.

كما قال أوغوستو بواسولا: "أفريقيا، بطابعها القومي الهوياتي، لا يمكن أن تتجاوز حدودها السياسية إلا من خلال نظام فدرالي لا ينظر فقط إلى الوطن القطري بل إلى الوحدة القارية."

1. إنهاء التجزئة القطرية عبر دمج الدول الإفريقية تدريجياً

العملية التي يجب أن تُبنى هي **الدمج التدريجي** بين الدول الإفريقية ضمن تكتل سياسي موحد، مثل السوق الإفريقية المشتركة التي تمثل خطوة أولى نحو تحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الإفريقية. هذه العملية يجب أن تتضمن التوسع في التجارة البينية، وتطوير خطوط نقل ومواصلات مشتركة، وخلق بيئة سياسية تؤمن بوجود تكامل حقيقي.

2. إلغاء الأنظمة الوراثية والدكتاتورية

الأنظمة الوراثية، مثل تلك التي تستمر في بعض دول شمال إفريقيا، والأنظمة الدكتاتورية التي لا تُمثل إرادة الشعب، تشكل عقبة رئيسية أمام تحقيق الوحدة الإفريقية الحقيقية. هذه الأنظمة ترفض فكرة الديمقراطية الشعبية وتستخدم القمع لتثبيت سلطتها. كما قال غرامشي: "المتقف العضوي هو من يقوم على خلق وحدة من الشعوب في مواجهة النظام القائم". ينبغي أن يكون التغيير في هذه الأنظمة أولوية لبناء دولة اتحادية ثورية تُحقق مصالح الجماهير.

الفصل 4: من التكتيك إلى الاستراتيجية: نحو بناء القاعدة المادية للوحدة الثورية

إن التحولات التي تشهدها إفريقيا اليوم، مثل طرد القواعد العسكرية الفرنسية، وتوسيع السوق الإفريقية المشتركة، وظهور تحالفات سياسية واقتصادية جديدة، تمثل لحظة مفصلية في تاريخ القارة. لكن هذه اللحظة لن تؤدي تلقائياً إلى التحرر، بل تحتاج إلى وعي ثوري وتنظيم شعبي قادر على تحويل هذه الفرص إلى حركة تغيير جذرية.

إن الاستعمار الجديد لن يتخلى بسهولة عن سيطرته على إفريقيا، وسيحاول إعادة إنتاج هيمنته عبر أدوات جديدة، مثل اتفاقيات التجارة النيوليبرالية، والتدخلات العسكرية تحت غطاء محاربة الإرهاب، والفساد السياسي المدعوم خارجياً. في هذا السياق، فرانز فانون يؤكد على أن "الاستعمار يرفض الاعتراف بالحق في تقرير المصير". لا بد من مواجهة هذه القوى التي تسعى للهيمنة عبر تنظيم حركة جماهيرية ثورية.

الفصل 5. إعادة بناء الوطن العربي: من الوحدة الثورية إلى التحرر الاقتصادي

إن فكرة الوحدة العربية الثورية لم تكن يوماً مجرد حلم بعيد المنال، بل كانت وما تزال خياراً استراتيجياً لتحقيق التحرر الكامل من القوى الإمبريالية التي تحاول باستمرار تقسيمنا وتفتيتنا إلى كيانات ضعيفة لا حول لها ولا قوة. ولقد تجسدت الوحدة في العديد من محطات التاريخ العربي، لكن التحديات الكثيرة التي واجهتها هذه المحاولات جعلتها تظل في إطار الطموح. وما تزال الساحة العربية تحتاج إلى إعادة بناء تصور جديد للوحدة، بعيداً عن الأنظمة الرجعية العميلة، ليتحول هذا المفهوم إلى وحدة شعوب حقيقية، تكون الغاية منها التحرر و التقدم في جميع المجالات.

أ. المكونات الاقتصادية للوطن العربي: هيمنة الإمبريالية

يمتلك الوطن العربي مجموعة كبيرة من الموارد الطبيعية التي يمكن أن تشكل دعائم أساسية لاقتصاد مستقل. النفط والغاز الطبيعي في دول الخليج والثروات الزراعية في بلاد المغرب العربي والموارد المعدنية في شمال أفريقيا والجزيرة العربية، تشكل قاعدة اقتصادية ضخمة. إلا أن القوى الإمبريالية، عبر سياسات شركاتها المتعددة الجنسيات، تعمل على استنزاف هذه الموارد، وتحويلها إلى أسواق استهلاكية تخدم مصالحها.

تعدد الشركات الأجنبية وتواجد القواعد العسكرية في العديد من الدول العربية لا يسهم إلا في تثبيت الهيمنة الغربية على مقدرات الشعوب العربية. ففي هذا السياق، يقول إدوارد سعيد:

"المستعمرون الجدد لا يكتفون باحتلال الأراضي، بل يسعون لاحتلال العقول والثروات عبر أدوات مالية وعسكرية."

إن هذا التصور يجسد واقع الوطن العربي، حيث يتم استنزاف الثروات وتحويلها إلى عائدات لا تصل إلى شعوبنا، بل تُدار من خلال سياسات الاستعمار الجديد.

ب. الاستقلال الاقتصادي: ضرورة بناء سوق عربية مشتركة

في إطار مقاومة الهيمنة الغربية، يجب أن تكون السوق العربية المشتركة هي نقطة انطلاق نحو الاستقلال الاقتصادي. إن تأسيس سوق عربية مشتركة يتيح للدول العربية التعامل معًا ككتلة اقتصادية موحدة، بعيدًا عن هيمنة القوى الخارجية. وبدلاً من التبادل التجاري المحدود الذي يقتصر على السلع، يمكن لهذا السوق أن يشمل الموارد البشرية، الطاقات المتجددة، و التكنولوجيا، بحيث تشكل الاستثمارات العربية منصة لتحقيق التنمية المستدامة.

كما يقول غرامشي:

"إن بناء الأمة لا يكون إلا من خلال البنية الاقتصادية المشتركة التي تتجاوز الحدود السياسية المؤقتة."

إن هذا الكلام يبرز أهمية التوجه نحو تكتل اقتصادي عربي، يعزز من القدرة التفاوضية مع القوى الكبرى ويخفف من التبعية الاقتصادية لها.

ج. العملة العربية الموحدة: خطوة ضرورية نحو السيادة المالية

كما هو الحال مع اليورو في الاتحاد الأوروبي، يجب التفكير في عملة عربية موحدة. إن وجود عملة موحدة سيكون له تأثير عميق على السيادة المالية للدول العربية، وسيقلل من التبعية للدولار و اليورو اللذين تفرضهما القوى الكبرى. إذ أن الاستقلال المالي جزء لا يتجزأ من الاستقلال السياسي.

المال هو السلطة، ومن يتحكم في المال يتحكم في مصير الأمم.

من هنا، يصبح التفكير في تأسيس عملة عربية ضرورة ملحة في سياق تحقيق الاستقلال، حيث يمكن أن تكون العملة الموحدة وسيلة لزيادة الاستقلالية المالية.

ح. الثروات الفلاحية: بوابة الاستقلال الغذائي

بجانب النفط والغاز، يمتلك الوطن العربي ثروات فلاحية هائلة يمكن أن تكون من أكبر مصادر الرفاهية والازدهار. إلا أن السياسات الزراعية في الدول العربية تقتصر إلى التنسيق المشترك، ما يجعل القطاع الزراعي مهددًا بال تراجع.

إن البلدان العربية تمتلك أراضي خصبة في مصر و الجزائر و السودان و المغرب، يمكن أن تلبي احتياجات الغذاء العربي إذا تم استثمارها بالشكل الصحيح. لكن للأسف، النظام الرأسمالي السائد يقوم على استيراد الغذاء، مما يؤدي إلى زيادة التبعية لدول الغرب. كما تقول فاطمة المرينسي في تحليلها لوضع الفلاحين في العالم العربي:

"الفلاح في العالم العربي يُستغل مرتين، الأولى من قبل الأنظمة التي تهمل حاجاته، والثانية من قبل الأسواق العالمية التي تستنزف ثرواته."

إن التحول نحو الإنتاج المحلي و الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء من أهم الركائز التي يجب أن يعتمد عليها المشروع العربي الثوري. ولا يمكن وحدة عربية حقيقية دون أن تضمن الدول العربية استقلالها الغذائي.

الفصل 6. التكتيك الآني: إسقاط الأنظمة الرجعية

بدايةً من اللحظة الراهنة، ينبغي أن يكون التوجه نحو إسقاط الأنظمة الرجعية العميلة في العالم العربي من الأولويات. هذه الأنظمة لا تمثل مصالح الشعوب العربية، بل هي دُمى في يد القوى الإمبريالية التي تتحكم في خيراتنا وقراراتنا. إن العمل على تشكيل جبهة ثورية تضم الحركات الشعبية و القوى التقدمية و الشباب الثائر سيكون خطوة مهمة نحو إسقاط هذه الأنظمة وبناء دولة جديدة لا تخدم مصالح الغرب بل المصالح الحقيقية لشعبنا.

المرحلة الأولى في هذا الطريق هي التحرك الشعبي لتنظيم المقاومة السياسية عبر الانتفاضات و الإضرابات، بالإضافة إلى العمل الثوري على مستوى التنظيمات السياسية والضغوط على الأنظمة الاقتصادية المستبدة. ومن ثم، يجب بناء تحالفات سياسية مع القوى الثورية العربية التي تتفق في رؤيتها لتحقيق التحرر و العدالة، وتفعيل نضال مشترك على مستوى الإقليم، وإشراك المنظمات النقابية والشبابية في هذا المشروع الثوري.

إن الوحدة العربية، بكل أبعادها السياسية والاقتصادية، هي الطريق الوحيد الذي يضمن تحقيق سيادتنا و استقلالنا من الهيمنة الغربية. إلا أن هذه الوحدة لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت وحدة شعوب، لا أنظمة، من خلال نضال شعبي مستمر ومنظم ضد الأنظمة العميلة. إن إعادة بناء الوطن العربي على أسس جديدة، مع سوق عربية مشتركة و عملة عربية موحدة، هو السبيل نحو الاستقلال الكامل و التحرر الثوري.

الطريق قد يكون طويلاً، ولكنه ليس مستحيلاً إذا ما تعاونت الشعوب العربية على مواجهة التحديات التي تفرضها القوى الإمبريالية، وأعادت بناء اقتصاد مقاوم يعكس إرادتها في التحرر والانتصار. كما يقول جورج حبش:

"لا حرية بدون وحدة، ولا وحدة بدون ثورة، ولا ثورة بدون وعي جماعي يثبت أن ما نملكه نحن هو أكثر من كل ما يملكه الآخرون."

● الطموح إلى وحدة عربية ثورية

إذا كانت الوحدة الإفريقية الثورية طموحاً مشروعاً، فإن هناك طموحاً موازياً يتمثل في الوحدة العربية الثورية، التي لا يمكن أن تكون مجرد تحالفات بين الأنظمة العربية. يجب أن تكون هذه الوحدة مشروعاً شعبياً ثورياً، تضمن فيه الشعوب العربية حقها في تقرير المصير، بعيداً عن الديكتاتوريات التي لا تمثل إلا مصالحها الخاصة.

إن الأمة العربية، مثل الأمة الإفريقية، تواجه تحديات عميقة من القوى الإمبريالية، والتجزئة القومية التي زرعتها الاستعمار في الجغرافيا العربية. يجب أن نأخذ من تجارب الثورات العربية في تونس ومصر وسوريا والعراق الدروس التي تعزز فكرة وحدة الشعوب وليس الأنظمة.

قال إدوارد سعيد: "الوحدة لا تكون إلا بتحرير الناس من قمع الأنظمة". إنها وحدة شعوب، كما أكد غرامشي: "الطبقات الشعبية وحدها قادرة على إحداث التغيير الحقيقي، وهي من ستحدد مستقبل الأمة".

إن الطموح إلى وحدة عربية ثورية يجب أن يكون مرتبطاً بالتحويلات الجذرية التي تضمن الحرية الحقيقية للمواطنين، بعيداً عن أي هيمنة أو تبعية للأجندات الإمبريالية، سواء كانت اقتصادية أو سياسية. الوحدة لا تتجسد فقط في الخطابات السياسية أو التكتلات البيروقراطية، بل في الانتفاضات الشعبية التي تسعى لتغيير الواقع المادي للبشر. كما أكد غرامشي في مقولته الشهيرة: "التحويلات الكبرى تحدث عندما يستيقظ الوعي الشعبي ويبداً في فرض إرادته".

● التوجه الثوري للصحو الشعبية

من خلال هذا التوجه الثوري، نلاحظ أن الثورات الشعبية التي شهدتها المنطقة العربية خلال العقد الماضي كانت بمثابة شرارة جديدة لفكرة الوحدة، لأنها كشفت للشعوب العربية أهمية التنظيم الثوري المتمثل في وحدة الشعب. كانت الثورة التونسية بمثابة حجر الزاوية لتفعيل تلك الفكرة، إذ تجمع فيها الشعب بشكل عفوي بعيداً عن أي أيديولوجيات حزبية أو طبقية، وتوحدت جماهيره على مطالب الحرية والكرامة.

وتؤكد	كلمات	أبو	القاسم	الشابي	:
"إذا	الشعب	يوماً	أراد	الحياة	
فلا	بد	أن	يستجيب	القدر	

وهي رسالة للأنظمة التي تعتقد أن الشعوب العربية لن تتحرك وأن مصالحها الخاصة يمكن أن تظل فوق إرادة الجماهير. هذه المقولات تعكس الطموح الشعبي إلى الوحدة الثورية التي لا تقتصر على إسقاط الأنظمة القمعية بل تشمل أيضاً تحقيق الوحدة الاقتصادية والاجتماعية التي تضمن حياة كريمة للجميع.

الفصل 7. تجربة الثورة الفلسطينية: درس في الكفاح الثوري للوحدة

الثورة الفلسطينية تقدم درسًا عميقًا في **النضال الثوري** من أجل **التحرر الوطني**، ورغم ما يواجه الفلسطينيون من تحديات، إلا أن **التضامن الشعبي** داخل المجتمعات العربية ودعمه **للقضية الفلسطينية** يشير إلى أنه يمكن تحقيق وحدة شعوب تقوم على **التضامن الثوري**..

إن النضال الفلسطيني يقدم نموذجًا للأمة العربية في كيفية بناء وحدة شعوب قائمة على المقاومة والثورة. فهي تضع على المحك قيم الوحدة الإنسانية وتضامن الشعوب في مواجهة قوى الهيمنة الاستعمارية، وإدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" يشير إلى ضرورة **الوحدة الثقافية** في مواجهة الاستعمار الفكري الذي يسعى لتثويته هويات الشعوب، وهو ما يعزز من فكرة **الوحدة الثقافية الثورية** التي يمكن أن تكون الخطوة الأساسية نحو وحدة شعوبنا.

الفصل 8. المقارنة مع الوحدة الإفريقية

لا يمكننا إغفال المقارنة بين **الوحدة العربية الثورية** و**الوحدة الإفريقية**. ورغم أن النضال ضد الاستعمار والهيمنة الخارجية يتشابه بين المنطقتين، فإن التجارب المختلفة تشير إلى أن **الوحدة الإفريقية** لم تتحقق بنفس الطريقة كما في **الوحدة العربية الثورية**. كان لدى العديد من القوى الثورية الإفريقية حلم بالتوحد لمواجهة القوى الاستعمارية، كما صرح باتريس لومومبا: "إفريقيا لن تكون حرة إلا إذا كانت كلها حرة". هذه المقولة تبين حقيقة أن أي تقسيم داخل القارة الإفريقية لن يؤدي إلا إلى فشل تحررها الشامل.

ومع ذلك، فإن الأنظمة الحاكمة في بعض الدول الإفريقية قد نجحت في الوصول إلى **تعاون اقتصادي محدد**، لكن هذا التعاون لم يصل بعد إلى المستوى الثوري الذي يمكن أن يشكل **وحدة حقيقية** في مواجهة الاستعمار الجديد. وبالمقارنة مع **الوحدة العربية الثورية** التي تعتمد على الشعب نفسه في مواجهة الأنظمة القمعية، فإن التجربة الإفريقية ما زالت بحاجة إلى توطيد **الحركات الشعبية الثورية** التي تمثل الشعوب وليس الأنظمة، كما هو الحال في **الحركات الشعبية** في الجزائر أو السودان التي تعكس طموح الشعوب في تحقيق تحرر كامل.

إن مقارنة **الوحدة العربية** و**الوحدة الإفريقية** تقدم دروسًا هامة. باتريس لومومبا كان من أبرز القادة الذين حاربوا من أجل وحدة إفريقيا تحت راية **التحرر من الاستعمار**، حيث قال: "إفريقيا لن تكون حرة إلا إذا كانت كلها حرة". هذه المقولة تعكس رغبة عميقة في التحرر الشامل، وهو ما تتطلبه الوحدة الثورية في العالم العربي أيضًا. لكن، بينما مرت الوحدة الإفريقية بتجارب فشل، إلا أن **النضال الفلسطيني** قد أثبت نجاح الشعوب في مقاومة القوى الاستعمارية، وبذلك قد تكون **التجربة الفلسطينية** نموذجًا يحتذى به في كيفية إحياء **الوحدة الثورية** بين الشعوب العربية.

إن **النموذج الإفريقي**، رغم تحالفاته المتعددة، ما زال بعيدًا عن تحقيق وحدة حقيقية، لأن **الأنظمة السياسية** هي التي تقود السياسات في معظم الأحيان، كما شهدنا مع **الاتحاد الإفريقي** الذي يظل بحاجة إلى **تعميق الحركات الثورية الشعبية** التي تمثل الشعوب، وليس الأنظمة.

الفصل 9. لتحديات والعقبات أمام الوحدة الثورية

إن الطريق نحو **وحدة ثورية حقيقية**، سواء على المستوى العربي أو الإفريقي، يواجه عقبات ضخمة. من أهم هذه العقبات هي **التدخلات الخارجية** التي تسعى إلى إحداث تمزقات بين الشعوب، وكذلك **الأنظمة الحاكمة** التي

تخشى فقدان مصالحها الخاصة. إن الأنظمة الاستبدادية في العالم العربي وأفريقيا، سواء كانت ملكية أو دكتاتورية، لن تترك زمام الأمور بسهولة.

وفي هذا السياق، جاء قول غرامشي في أوقات صراعات الطبقات: "إن القدرة على التنظيم الثوري لا تأتي إلا عندما تتجاوز الإرادة الشعبية السلطة التقليدية لتستطيع بناء أداة ثورية جديدة". وهذا يعني أن التغيير الثوري لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تم تجاوز هذه الأنظمة القائمة وتأسيس سلطة شعبية ثورية يمكنها ضمان تحقيق الوحدة الشاملة.

الفصل 10. لطموح نحو وحدة تحررية ثورية شاملة

لا بد من الإشارة إلى أن الطموح الثوري الذي نطمح إليه هو أن نعيد بناء الوحدة الثورية ليس بين الأنظمة الحاكمة، بل بين شعوبنا في العالم العربي وفي إفريقيا، عبر برامج شاملة تنطلق من إرادة الجماهير. هذه الوحدة ستكون القوة الحقيقية التي تقف ضد مشاريع الهيمنة الإمبريالية، ويمكن أن تضمن تحرير الشعوب في النهاية من أي نوع من أنواع الاستعمار الجديد.

إن الوحدة الثورية تتطلب شجاعة في المضي قدماً، وتصميماً على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية. ويتطلب ذلك انخراط جميع الفئات الشعبية في عملية التغيير، والتمسك بالمبادئ الثورية في مواجهة الأنظمة القائمة. كما قال غرامشي: "الثورة لا تأتي من السماء، إنها تتطلب كفاحاً يومياً على الأرض".

إن الطريق طويل، لكنه في النهاية يقود إلى الوحدة الحقيقية. والركيزة الأساسية في هذا المسار هي الإيمان بقدرة الشعوب على إحداث التغيير، وبأن هذا التغيير يجب أن يكون ثورياً، يستند إلى المصالح الشعبية ويبنى على أسس من العدالة الاجتماعية والاستقلال الاقتصادي..

الطموح إلى وحدة ثورية يشكل خطوة أساسية نحو إعادة بناء الأمة وتحريرها من الهيمنة الإمبريالية. إن هذا الطموح لا يتعلق فقط بإقامة تحالفات سياسية بين الأنظمة، بل يشمل في جوهره وحدة الشعوب العربية تحت لواء نضال مشترك يهدف إلى تجاوز الأنظمة القمعية التي تسيطر على مصيرهم. إن الوعي الثوري هو العامل الحاسم الذي يمكن أن يقود الأمة العربية نحو استعادة استقلالها الحقيقي، بعيداً عن التبعية للنظام الدولي الذي يفرضه الغرب.

إن التاريخ يعج بشواهد على أن الشعوب هي التي تتحمل العبء الأكبر في عمليات التحرير، مثلما قال غرامشي: "التحولات الكبرى تحدث عندما يستيقظ الوعي الشعبي ويبدأ في فرض إرادته". هذه الرؤية هي التي تُبنى عليها فكرة الوحدة الثورية، التي تشدد على أن القوى الحية في أي حركة تحريرية هي الشعوب نفسها، لا الأنظمة التي تسعى إلى الحفاظ على مصالحها الخاصة.

الفصل 11. الوحدة العربية الثورية في السياق المعاصر

في العصر الحديث، شكلت الثورات الشعبية التي شهدتها بعض الدول العربية خلال العقد الماضي علامة فارقة في مسار الوحدة الثورية. إذ خرجت الجماهير الشعبية لتؤكد الطموح الثوري والتغيير الجذري، كما حدث في

الثورة التونسية، التي توحدت فيها فئات الشعب دون أي تأثير كبير للأيديولوجيات الحزبية أو الطبقية. ففي ذلك الحين، كانت الطاقة الثورية المتجددة هي التي دفعت الجماهير نحو مطالبهم بالحرية والكرامة.

● الدور الحاسم للقضية الفلسطينية في الوحدة الثورية

من الجوانب المهمة التي تثبت أهمية وحدة الشعوب في عالمنا العربي هي القضية الفلسطينية. إن التضحيات الكبيرة التي يقدمها الشعب الفلسطيني منذ عقود، والنضال المستمر ضد الاحتلال الصهيوني، قد أصبحت نقطة التقاء وتوحيد بين العديد من الشعوب العربية. إن التضامن العربي مع القضية الفلسطينية يشير إلى أن الوحدة الثورية في العالم العربي لا تقتصر على المصالح الضيقة للأنظمة بل تتعدى ذلك إلى الإنسانية المشتركة والرغبة العميقة في التحرر الجماعي.

ومثلما قال ياسر عرفات: "لن نسمح أن تفرقنا السياسات المصلحية للأعداء، فالنضال من أجل فلسطين هو نضال من أجل كل الأمة العربية"، هذه المقولة تبرز الدور المحوري للقضية الفلسطينية كحافز لتحفيز وحدة الشعوب العربية وتوجيه الأنظار إلى المستقبل المشترك الذي يحلم به الجميع.

يقول جورج حبش: "التحرر لا يكون إلا بالثورة، والثورة لا تكون إلا بوحدة الشعب في كل الوطن العربي".

الفصل 12. المقارنة مع الوحدة الإفريقية

إن مقارنة الوحدة العربية والوحدة الإفريقية تقدم دروساً هامة. باتريس لومومبا كان من أبرز القادة الذين حاربوا من أجل وحدة إفريقيا تحت راية التحرر من الاستعمار، حيث قال: "إفريقيا لن تكون حرة إلا إذا كانت كلها حرة". هذه المقولة تعكس رغبة عميقة في التحرر الشامل، وهو ما تتطلبه الوحدة الثورية في العالم العربي أيضاً. لكن، بينما مرت الوحدة الإفريقية بتجارب فشل، إلا أن النضال الفلسطيني قد أثبت نجاح الشعوب في مقاومة القوى الاستعمارية، وبذلك قد تكون التجربة الفلسطينية نموذجاً يحتذى به في كيفية إحياء الوحدة الثورية بين الشعوب العربية.

إن النموذج الإفريقي، رغم تحالفاته المتعددة، ما زال بعيداً عن تحقيق وحدة حقيقية، لأن الأنظمة السياسية هي التي تقود السياسات في معظم الأحيان، كما شهدنا مع الاتحاد الإفريقي الذي يظل بحاجة إلى تعميق الحركات الثورية الشعبية التي تمثل الشعوب، وليس الأنظمة.

الفصل 13. لتحديات أمام الوحدة الثورية

إن التحديات التي تواجه الوحدة الثورية ليست هينة، كما أن الأنظمة الاستبدادية التي تسيطر على البلدان العربية، تخشى من أي شكل من أشكال التحولات التي يمكن أن تهدد سلطتها. فإن التدخلات الخارجية، خصوصاً من القوى الاستعمارية القديمة، تسعى دائماً إلى تقسيم الشعوب وإضعاف أي تكتل ثوري يمكن أن يظهر.

كما غرامشي يقول: "إن القدرة على التنظيم الثوري لا تأتي إلا عندما تتجاوز الإرادة الشعبية السلطة التقليدية لتستطيع بناء أداة ثورية جديدة"، وهو ما يعني أن التغيير الثوري يجب أن يبدأ من الشعوب نفسها، عبر الانتفاضات الشعبية التي تكسر قيود الأنظمة القمعية وتؤسس لثقافة جديدة في مواجهة القمع.

الفصل 14. لطموح إلى وحدة تحررية ثورية شاملة

إن الطموح الثوري هو الذي يوجه العالم العربي اليوم نحو وحدة شعوب حقيقية يمكن أن تمثل نقطة انطلاق لتحرير المنطقة من الهيمنة الخارجية. وهذه الوحدة الثورية هي التي ستمكن من مواجهة التحديات التي تفرضها الأنظمة القمعية والأوضاع السياسية والاقتصادية الراهنة. إن التغيير الثوري لا يأتي إلا من خلال جهد جماعي، لا عبر الاتفاقات الأنظمة فقط.

وبهذه المناسبة، يمكن الاستشهاد بقول غرامشي: "الثورة لا تأتي من السماء، إنها تتطلب كفاحاً يومياً على الأرض". هذه المقولة تدل على أن التغيير الثوري هو عملية مستمرة، لا تتوقف في لحظة واحدة. وبالتالي، على الشعوب العربية أن تتخبط في هذه العملية الثورية بشكل مستمر، والعمل على توحيد رؤيتها وآمالها في المستقبل.

إن الطريق نحو الوحدة الثورية هو طريق طويل، ولكنه حتمي، وأساسه الإيمان بمستقبل أفضل بعيد عن هيمنة القوى الاستعمارية أو القوى الطفيلية التي لا تسعى إلا لتحقيق مصالحها الخاصة على حساب الشعوب.

كما قال إدوارد سعيد: "الوحدة لا تكون إلا بتحرر الناس من قمع الأنظمة". إنها وحدة شعوب، و كما أكد غرامشي: "الطبقات الشعبية وحدها قادرة على إحداث التغيير الحقيقي، وهي من ستحدد مستقبل الأمة".

في الختام إن الوحدة الإفريقية الثورية و الوحدة العربية الثورية ليستا مجرد حلم بعيد المنال، بل هي ضرورة تاريخية تفرضها التحديات التي تواجه القارة الإفريقية و الوطن العربي في عالم اليوم. كما أكد أميلكار كابرا: "الحرية لا تأتي إلا عندما يتحمل الشعب عبء الثورة". لقد أثبتت العقود الطويلة من الهيمنة الاستعمارية، الاقتصادية والعسكرية، أن إفريقيا والوطن العربي لا يمكنهما الاستمرار في هذا المسار إلا إذا تحررتا من قيود الاستعمار الجديد، وأخذتا مصيرهما بيدهما. لقد شكلت اللحظات الأخيرة من طرد القواعد العسكرية والشركات الفرنسية من بعض الدول الإفريقية بداية لمسار طويل نحو استقلال حقيقي.

ومع كل خطوة تُحقق نحو الوحدة، يتكشف أمامنا الصراع العميق مع القوى الإمبريالية، التي لن تدخر جهداً لإعاقة هذا المشروع. لكن القوى الشعبية، من العمال، الفلاحين، الشباب والمتقنين الثوريين، إذا استطاعت أن تنظم نفسها في حركة متكاملة، ستمكن من إحداث التغيير الجذري الذي سيمكنها من التخلص من الهيمنة الاقتصادية والسياسية التي تفرضها القوى الكبرى. إن السوق الإفريقية المشتركة، و السوق العربية المشتركة على سبيل المثال، تمثلان خطوة أولى نحو تحقيق تكامل اقتصادي بين الدول الإفريقية و كذلك الدول العربية، والتخلي عن الاعتماد على القوى الغربية. ومن خلال الأنظمة الاقتصادية الموجهة، ستمكن إفريقيا و العرب من بناء أساسات اقتصادية مستقلة تحسن مستوى المعيشة لشعوبهما، وتضع حداً للفقر المزمن.

لكن الوحدة الإفريقية الثورية و الوحدة العربية الثورية لا تنتهي فقط عند حدود الاقتصاد والسياسة. يجب أن تمتد لتشمل الوعي الشعبي، الذي يجب أن يكون أساسياً في تحقيق التغيير الحقيقي. إن الثقافة الثورية في إفريقيا و الوطن العربي هي التي ستبني هذا الوعي وتعمقه، من خلال التعليم، والفن، والموسيقى، والأدب.

رياض الشرايطي / تونس

<https://www.africa-press.net/Tunisia/?p=184609>

